مساحة خضراء

«ألف ليلة وليلة» عربي رغم تنوع قصصه

فؤاد عبدالقادر

□ مَنْ قال إن الأدب العربي ليست له قيمة ولم يؤثر أو يتأثر به الأديب والأدب الأوروبي، بل والأدب في العالم قاطبة.

ها هو كتاب عربي أدبي شامل، هو «ألف ليلة وليلة»، لعب دوراً كبيراً في الثقافة الأوروبية، الأدب والفنون.

يعتبر كتاب «ألف ليلة وليلة» من أجمل الكتب الأدبية، ويصفه النقاد بأنه حكايات في عالم مشغول بالسحر والسحرة، صاخب إلى أعلى درجات الصخب والهوس والعربدة، ماجن إلى آخر حد، مجنون، مفتون، نابض بالحياة والخلق والحكمة والطرب.

يعتقد بعض النقاد أن الألف ليلة وليلة أصبحت رمزاً حقيقياً وأصيلاً لمدينة بغداد، كما تظهر في العديد من الأفلام التي أنتجتها هوليوود في النصف الأول من القرن العشرين.

تعتبر النسخة التي حققها الباحث محسن مهدي في ثمانينيات القرن الماضي أحدث النسخ من هذا الكتاب الكوني العظيم، وقد طبع الجزء الثاني بعنوان المجلد الثاني من كتاب «ألف ليلة وليلة»، ويشتمل على حكايات مائة ليلة وأخبار السندباد مع الهندباد في العام١٨١٨ م، نشره الشيخ أحمد بن محمود شرواني اليماني، وهو أحد أعضاء هيئة التدريس في قسم اللغة العربية بكلية فورث وليم.

يقول بعض النقاد إنهم يعتقدون أن واضع هذا الكتاب ليس فرداً واحداً، بالرغم من إجماعهم على أن نواة «ألف ليلة وليلة» فارسية، مثله مثل «كليلة ودمنة»، ويميل بعضهم إلى الاعتقاد بأن أصل الكتاب فارسي، مع إقرارهم ببعض الفضل للعرب والفرس فيه، فهناك حكايات نسبت إلى الهند وبلاد فارس، وحكايات أخرى نسبت إلى بغداد والكوفة والبصرة، لكن الاعتقاد بأن الكتاب ليس عربياً سقط تماماً مع اكتشاف نسخ جديدة من المخطوط، فالكتاب مكتوب بالعربية، ومنتشر بالعربية، نحاول تسليط الضوء على كتاب «ألف ليلة وليلة» وتأثيره على الأدب الأوروبي في عمود لاحق.

الزبيري... سيرة حب

أمل محمد إبراهيم

مازالت سيرة الشعر والشعراء تحرك أحاسيس المرء وتبعث في النفس مشاعر الإعجاب والفخر ومشاعر التعاطف مع ذلك الشاعر والحزن مع غيره، وذلك كلما تصفحنا سيرة أيّ منهم، ولو فتشنا في تاريخ أولئك الشعراء المبدعين وفتشنا في أعظم سمة من سماتهم بل أهم سمات تجاربهم الشعرية لوجدنا أن الوجدان أهم تلك المراحل التي ذابت فيهم وذابوا فيها والوجدان أو عاطفة الحب التي أثرت في مسيرة الشعراء مختلفة الإتجاهات فهناك من ذاب ولها بوطنه وآخر في محبوبته وشاعر في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشاعر هام في حب الذات الإلهية وغيرهم كثير، وأنا في صدد تناول نماذج من هؤلاء الشعراء الذين أثروا فينا بهذه الانتماءات المختلفة؛ وددتُ لو افتتحنا هذه الباقة من سيرة الحب بشاعر حر، شاعر كان له ولمحبوبته رواية تعددت فصولها وكثر أبطالها فاختتم هذه الرواية بأحرف من دمة بتلك العاطفة المنسكبة كجدول رقراق جميل، ذلك هو حب الوطن عاطفة جذلى وحنين لاً ينقطع تغريده وشوق لا تهدأ عواصفه وللوطن في القلب سكن لا يبلى وقداسة سامية وشرف لا يضاهيه شرف.

ولوجدان شاعرنا تأصيل للزمان والمكان ورسمٌ لآهات لا تمحى. ودائماً نستشف عشقه وولهه وهيامه بهذا الوطن المعطاء إنه القائل:

بحثت عن هبة أحبوك ياوطني
فلم أجد لك إلا قلبي الدامي

هذا هو الشاعر الشهيد محمد محمود الزبيري فمن حبه نستمد قوة وفخار عرش بلقيس ،ومن سد وعظمة وعراقة مأرب ، و حضارة وشموخ الخط المسند ، و أصالة وجمال بيوت صنعاء ، فروحه محلقة في ثنايا الجنتين وفي الرياض الرائعة ، وعلى دربه نمضي على طقوس الحرف في رحلة يمانية ساحرة، فيها روائع وردة و فلة من بساتين الحسينيً ومن رشفة فنجان بنّ يافعي أصيل، وعبر أبي الأحرار نغوص في أعماق الكلام ،و نبحث عن كلمة أو جملة منقوشة على جدار الحرية مكتوبة بخط المسند. الموشىً بدم الشهداء لنفيه حقه ، ومن نضاله نرتشف من أصولنا التاريخية الفياضة بالحنين العبقري العظيم لوطن التاريخ وأبجدة الوجود لعاصمة التاريخ مولد ثورته في وفاء ممزوج بروح الأمل الملتهب بحب الوطن.. وفي عناق منغم لكل ما في هذا الوطن من جمال وروعة وأمل .. وفي تضحية ليس لها مثيل معزوفة على قيثارة القلب في سيمفونية عذبه تهز الجوارح وتبهرها حباً وعشقاً لليمن..هاهو شاعر اليمن الكبير محمد محمود الزبيري في سيرته التي تقتحم الروح اقتحام الأسود للغاب. وسرعة البرق في سيرة من أحب الوطن رغم الظروف القاسية والمحن بل إنه رضع حب الوطن مع رشفة اللبن الأولى ..إنٍ لفلسفة الحب سحراً لا يقارنه سحر.. وروعة عظيمه خاصة ذلك الحب الذي يسكن المشاعر دون إذن أو سابق إنذار ..

ولد شاعرنا في حي بستان السلطان بصنعاء وهو أحد الأحياء التاريخية في صنعاء القديمة عام ١٩١٨م. وهو من أسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى ويشتغل بعضها في القضاء والآخر بالتجارة ،وقد ابتعدت به موهبته عن اهتمامات أسرته وأنشأته منذ الطفولة الباكرة نشأة روحية متصوفة غير ميال إلى القضاء والتجارة وهنا يقول الزبيري: «بدأت حياتي طالب علم ينحو منحى الصوفية في العزوف، والروحانية وتعشقت هذا اللون من حياتي رغم اليتم والشظف والقلة ، ونعمت به كما لم أنعم بشيء آخر بعد ذلك»، نشأ الزبيري يتيمًا وبدأ تعليمه في مدينة صنعاء متأثراً بالصوفية ومال إلى الأدب عامه والشعر خاصة فقد درس الأدب حتى تمكن من نفسه فهام به أي هيام. وكان شاعرنا الزبيري ممن يهوون المطالعة هواية ملكت عليه لبه ونظم الشعر وهو دون العشرين من عمره. وكان أول ظهور للزبيري كشاعر عندما ذهب إلى الحج عام ١٩٣٨م، كان بصحبة الشهيد عبدالله الوزير، ووقف أمام الملك عبدالعزيز آل سعود، وألقى قصيدة لم تحفظ المصادر إلا مطلعها:

قلب الجزيرة في يمينك يخفق
وسنا العروبة من جبينك يشرق

وقد قطع الزبيري دراسته عائدًا إلى اليمن التي رأى أنها تستحق منه مجهودًا كبيرًا وذلك لإنقاذ البلاد من الأوضاع المتردية والمأساوية التي كانت تكتنف اليمن آنذاك تحت حكم الأئمة من أسرة حميد الدين، وقد صور هذه الحالة قائلاً:

ماذا دهى قحطان في لحظاتهم
بؤس وفي كلماتهم آلام؟
جهل وأمراض وظلم فادح
ومخافة ومجاعة و«إمام»

ويتجلى في شعر الزبيري الهاجس الرومانسي في هيمنته الظاهرة على ذلك الخطاب في تلك الحقبة التاريخية الصعبة..التي مر بها شاعرنا الزبيري وشعراء الخضم الثوري..وبدت الأنا المتألقة المبدعة في ثنايا الهم الوطني في تخيل شعري رومانسي لأن الوطن متربع في أضلع الزبيري تهزه نفحات ريحه القدسية العذبة.. التي تجعل من شاعرنا يطيل في عزف نوتته الوطنية في اشتياق الروح للجسد وامتزاجهما في كيان واحد ويقول الزبيري عن شعوره بأدبه.. كنت أحس إحساسا أسطوريا بأني قادر بالأدب وحده على أن أقوض ألف عام من الفساد والظلم والطغيان « وفي نفس المعنى يقول شعرا :

كانت بأقطابها مشدودة الطنب
قوضت بالقلم الجبار مملكة

والزبيري الشاعر سابح في ملكوت عشقه الذي ملأ قلوبنا فرحاً مرتحلا إلى خيالات الحب الغارق في سماء الإيمان ألقا وسحرا للوطن الذي سكن الزبيري والزبيري الذي سكن الوطن.

وقصائد الزبيري ثائرة برائحة الرومانسية المضيئة ببراعة التخيل الشعري..التي تصبغها طبيعة الزمان والمكان في بلورة شاملة شعرا وثورة فتحمل شاعرنا الزبيري على كاهله أمانة القضية الوطنية .. بعد سقوط مروع لأنصاره بين قتيل وأسير لتكون قصائد الزبيري مرايا تبرز الجانب الرومانسي الوجداني. الذي عكس مدى الظلم الذي تعرض له وقد عبر عن ذلك بقوله:

ليلك الشاعر فاسمع شعره
إنه يلقي علينا سره
ليلك المظلم فانظر أفقه
إنه الكون يلاقي قبره

وبهذا يعتبر شعر الزبيري أول تحول في الشعر اليمني المعاصر نحو أهداف سامية في الإتجاه الوطني وقد عاصر الزبيري أحداثاً هامة في تاريخ اليمن في تلك الآونة التي شارك في رسم ملامحها بطريقته الشعرية الملتهبة، وكان أول الكافرين بتلك الممارسات التي قام بها الطاغية من أشكال الاضطهاد البشري وقد عبر عن ذلك بقوله:

كفرت بعهد الطغاة البُغاة
وما زخرفوهُ وما زيّنوه

وقد تعرض الزبيري لمراحل مظلمة كثيرة أهلته أن يحمل هم الوطن سواء كان في الخارج أو الداخل وظل الوطن هاجس الزبيري الأول وذكراه التي لا تفتأ تتجدد وترتسم في مخيلته الطاهره يقول الزبيري عن حنينه لوطنه :

ذكريات فاحت بريا الجنان فسبت خاطري وهزت جناني

عمر في دقيقة مستعاد
ودهور مطلة في ثواني

وهنا نسدل ستار الحرية، بإحدى ابتهالاته في فضاءات الكون المترامي في ثنايا وطنه في قدسية الألحان إلى مقطوعة قلبه التي يقول فيها:

الشاعرية في روائع سحرها
أنت الذي سويتها وصنعتَها
مالي بها جهدٌ، فأنت سكبتَها
بدمي وأنت بمهجتي أودعتَها
أنت الذي بشذاكَ قد عطرتَها
ونشرتَها بين الورى وأذعتَها
وقَفَتْ لساني في هواكَ غناءَها
فإذا تغنت في سواكَ قطعتُها
يتَمتَ روحي في علاك، وصغتَها
بسناكَ ، ثم طردتَها وفجعتَها
أبعدتني عن أمة أنا صوتها الـ
ـعالي فلو ضيَعتَني ضيعتُها
حملتني آلامها ودموعها
ومنعتني عن وصلها ، ومنعتها
ناديت أشتات الجراح بأمتي
وجمعتها في أضلعي وطبعتَها
ما قال قومي : آه ...إلا جئتني
فكويت أحشائي بها ولسعتها

عزت بتوصيفها للمشهد الجديد في هذه الثورات، وطبيعة الأداة الفاعلة فيها وهي المواطن، والمساحات التي تحركت فيها وعلاقتها بالتاريخ والزمن.

من جهته، أكد د. الزواوي بغورة وجود نخبة جديدة متعلمة مدنية في أغلبها، مقترحا تسمية ما يحدث بأنه تغيير يفضي الى وضع ديموقراطي، باستخدام وسائل جديدة نوعية.

وحدة الخطاب الوطني هي ما ميز الثورات التي يشهدها العالم العربي برأي د. ابتسام الكتبي، حيث جاء هذا الحراك برأيها متحررا من المواقع الحزبية ورافضا لها باعتبارها الوجه الآخر للنظام. حيث كان أقصى ما تطمح اليه هذه الأحزاب هو اقتسام السلطة مع النظم الحاكمة. كما كشفت الثورات العربية عن كون الأيديولوجيات القديمة المتصارعة كانت جزءا من النظام الذي تعارضه. واعتبرت ما يحدث الآن بمنزلة «فيضان الهامش على المركز» بحسب تعبيرها.

القوى الجديدة في المجتمع العربي

■ تواصلت صباح أمس الاول بالكويت ندوة «الواقع العربي الجديد.. تأصيل واستشراف» التي تقام في مكتبة الكويت الوطنية، ضمن فعاليات مهرجان القرين الثقافي الثامن عشر. جاءت الجلستان الصباحيتان لتناقشا «القوى الجديدة الفاعلة في الواقع العربي»، و«النخبة والجمهور.. من يقود من؟».

في الجلسة الأولى التي أدارها مظفر عبدالله تحدثت د. منى فياض عن ما أسمته بكسر حاجز الخوف، موضحة السوابق التي دفعت الى هذا الوضع، مثل تحرير الجنوب اللبناني، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر، واحتلال العراق بزعم تحريره من الدكتاتورية.

وقالت فياض ان ثمة حالة من انبثاق جديد للوعي، اذ لم يعد الوضع السياسي ملائما لترقيع الأنظمة السابقة وفسادها، الذي تمثل في الاستبداد وتحالف أقطاب النظام مع رجال الأعمال. ومن ثم جاءت الثورات على دولة المافيا الغنائمية.

من جهته، عبر د. مجدي حماد في كلمته عن تفاؤله. وأشار حماد في مطلع حديثه الى أن ما يحدث هو حركة تغيير هائلة، لا نتوقع منها الاستقرار العاجل. وعن مناخ الثورات، قال حماد ان احدى ظواهره هي ظاهرة التسييس لكل القوى الاجتماعية، حيث لا توجد مؤسسات سياسية مستقرة، ومن ثم هناك ظاهرة المجتمع المنفلت، حتى وصل الامر الى الحديث عن تلاشي الدولة. ومن ثم صارت الشعوب قوة سياسية فاعلة. وأشار حماد الى نقاط أربع تحدد مسار الثورة هي الاستمرار في إدارة الدولة، والمرحلة الانتقالية، مواجهة الثورة المضادة، وبناء المستقبل.

ونبه حماد الى ضرورة الالتفات الى بناء المستقبل، مشيرا الى كتابه «ثورة مصر.. مشروع نهضة عربية»، حيث يجب بناء مواطن صلب لايمكن شراؤه بالمال السياسي.

جاءت الجلسة الثانية التي أدارها سعد بن طفله العجمي لتناقش علاقة النخبة بالجمهور. واستهلت الجلسة د. هبة

أقاصيص (1)

إرهاب
حاول أن يخطف وردة من يديها،
وقبلة نائمة على شفتيها
هم أن يضرم رغبته.. لكن» اللاءات» اعتبرته تهديداً للأمن القومي ،وعملاً إرهابياً يهدد سلامة الممرات المائية الدولية ومصالح أمريكا..!!

صدى
عاد إلى الأمكنة الحميمة التي تمرد قلبه فيها عليه،
واعترف لها فيها بحبه العميق.
لم يجد سوى أشجار يابسة، وأزقة معفرة بالأتربة والمشاة الجوعى،
وبصدى أغنية قديمة يتعارك شجنها مع النسيان.

انتظار
انتظرها في الشارع الحزين..
عله يفاجئها بعودته من غربته في الشجن البعيد...
أطلت من الشارع.. فرح بمقدمها.. وبطلتها المشرقة..
بعد لحظات تبعها ظل ثقيل الخطو ،وصوتاً يأمرها بالانتظار!

سباحة
بعد غيبة اضطرارية ،التقاها صدفة في شارع المدينة المكدس بالشعارات والبنايات الأسمنتية.
بلهفة تأمل عينيها ،بحث عن أشواقه المسافرة إليها.
لم يجد سوى بحيرة عميقة ،و أناس كثر يتعلمون السباحة!!

تعبير
أفرغ في حضن الورقة البيضاء ما في ذهنه من أفكار وكلمات.
في المقهى المنزوي عن الضجيج ،جلس ينقح ما كتبه، يمحو ،ويضيف ،ويعيد ترتيب جملة مرتبكة وأخرى شاردة.
مرت ساعة مر يوم.. مر شهر... مر عام..
.. مر عمر.. مر وطن.. والورقة بيضاء ... وعذراء..
مر دهر، وهو يبحث عن نهاية سعيدة ،لسطر تمرد عليه، وكلمة مناسبة لجملة ناقصة ،تبحث عن معنى يزفها إلى الحقيقة.

ذات حلم
يتذكر أنه ذات حلم ،
افترش ليل ضفائرها ،وتدثر بغيوم عشقها،
وتوهج بعطر جسدها العابق بصهيل البراري وسحر الغابات المخيفة.

يتذكر أنه ذات حلم
تبلل بأمطار الدهشة ،وأمطار الفرح التي انتظرت مواسم قطافها ،وأنه تنفس بعمق تحت مائها العذب ،واشتعلت أنفاسه بأمواج بحرها العاصف ،وشهقات أمانيها الأسيرة.

يتذكر أنه ذات حلم
احترق معها وفيها ،و بها ،وأطلقا أشواقهما الحبيسة لتعبرا عن جنونهما المثير لأسئلة الظمأ ،وليغردا معاً أغرودة نشوة كانت تبحث عن منبر حر للإدلاء برأيها الكامل وبلهفتها المخفوره بالممنوعات الوطنية.

يتذكر أنه ذات حلم
خلع صمته ،وخجله ،وأوجاعه ،ورمى بنفسه من شاهق وسقط مضرجاً بعسل أنوثتها..!!

يتذكر أنه فاق من حلمه
وذهب في أزقة المدينة يبحث عن حلم يخاف أن يتلاشى أو يضيع في مسيرة عابرة إلى النسيان.

Kood500@Hotmail.com

إصدارات ثقافية

الفوضى وما بعد الحداثة

● لقيت نظرية الفوضى أو نظرية الهيولية (Choas Theory) التي أسس لها العالم إدوارد لورين، اهتماما كبيرا في الحقول المعرفية المتنوعة، فقد انطلقت هذه النظرية من حقل الرياضيات إلى حقول معرفية أخرى بدءا من الفيزياء وانتهاء بالفلسفة والنقد الأدبي.

وتنطلق فلسفة هذه النظرية من أن ما يبدو في مظاهر الطبيعة من عشوائية إنما هو في الواقع عشوائية زائفة تنطوي على قدر كبير من الانتظام. وتعدّ هذه النظرية أحدث ثورة علمية بعد النظرية الكمية والنظرية النسبية. وقد بدأت محاولات عديدة لنقل هذه النظرية إلى العربية من خلال الترجمة أو من خلال الكتب التي تحاول العرض لها، ومن هذه الكتب «نظرية الفوضى والأدب: ما بعد ما بعد الحداثة» لمؤلفته شريفة محمد العبودي الذي صدر مؤخرا عن سلسلة كتاب الرياض التي تصدر في السعودية.

تقوم النظرية التي تقدم لها المؤلفة على عدد من المبادئ التي حاولت إيجازها في الجزء الأول من الكتاب، فالنظرية تعير لانطلاقة البداية اهتماما كبيرا، إذ يمثل التغير الطفيف في تلك الانطلاقة بداية لمتغيرات مستقبلية أكبر، وقد تعاملت النظرية مع تركيبات الكون في مجالاتها المختلفة على أنها أنظمة مركبة لها خاصية التكرار، غير أن التكرار لا يعني المطابقة، إذ لا يمكن أن يتكرر محتوى ما مرتين. وتعد الجواذب الغريبة من أهم المفاهيم التي تقوم عليها نظرية الفوضى، فالجاذب «هو حالة يدور حولها نظام به حركة، أي أن النقاط حول الجاذب تبقى قريبة منه حتى لو تحركت قليلا»، ومن أمثلة الجاذب الغريب الشكل السداسي الذي تتخذه ندفة الثلج، إذ إن ندف الثلج هذه تتخذ شكلها ذاتيًا محققة بذلك تماثلا يبدو بؤرة لنمط سلوك يظهر كأنه فوضوي.

ومن المبادئ التي تنطلق منها النظرية: «اللاخطية»، التي تعني أن نتائج حركة نظام ما لا تتناسب مع نقطة انطلاقته.

وتستعرض الكاتبة في الجزء الثاني من الكتاب عددا من المؤلفات التي تناولت نظرية الفوضى، وتشير إلى كتاب جيمس جليك الذي تُرجم إلى العربية ثلاث مرات تحت عناوين مختلفة، مركزة على تلك الكتب التي تناولت انعكاس النظرية في العلوم الإنسانية، خصوصا النظرية النقدية. ولو أن الكاتبة دمجت هذا الجزء بالجزء اللاحق الذي تناول «نظرية الفوضى والنظرية الأدبية» لكان أجدى، إذ لا يكاد ما جاء في هذا الفصل يختلف عما جاء في الفصل اللاحق.

تصر الكاتبة على فصل النظرية التي تقدم لها عن مرحلة ما بعد الحداثة، وقد برز ذلك من خلال عنوان الكتاب: «نظرية الفوضى والأدب: ما بعد ما بعد الحداثة»، هذا مع أنها لا تجد من يتمسك بهذا الفصل، فقد عدّ عدد من الكتاب علمَ الفوضى من علوم حقبة ما بعد الحداثة، بل إن «إن كاثرين هيلز» التي تستشهد الكاتبة برأيها لا تبدو متمسكة بهذا الفصل، فهي توافق على ربط علم الفوضى بمرحلة ما بعد الحداثة.

تنطلق نظرية الفوضى في الأدب من النص الأدبي، إذ تحاول أن تطور إستراتيجيات لإيجاد معنى لما يبدو فوضويًا غير واضح في النص. وقد ركزت النظرية على استهلال النص واستحسنت التعامل مع تلك النصوص التي تتصف بالتعقيد والتركيب. غير أن أهم ما يرتبط بنظرية الفوضى مما يمثل انعطافة عن مرحلة ما بعد الحداثة أو في إطارها توجهها نحو الأنسنة متخلية بذلك عن فكرة موت الإنسان التي سادت لدى مفكري الحداثة، إذ انطلقت في هذا التوجه من فكرة أثر الفراشة الذي يعدّ ركنا من أركان النظرية، فكما أن خفقة جناح فراشة في مكان ما قد تؤدي إلى إعصار في مكان آخر فإن الإنسان على الرغم من هشاشته قد يؤدي إلى أثر كبير في الكون.

وقد حاولت الكاتبة أن تتوصل إلى ملامح نظرية الفوضى في النقد العربي الحديث من خلال مشروع عبد الله الغذامي في النقد الثقافي، إذ اعتمدت في ذلك تأسيسه النظري من خلال مفهوم النسق، غير أن تناولها لهذا المفهوم جاء من خلال تصرف غير مبرر، إذ جعلت من النسقين المتعارضين اللذين تناولهما الغذامي نسقا واحدا ذا باطن منتظم وظاهر فوضوي يتلاءم مع نظرية الفوضى، والأغلب أن الغذامي لم يعتمد على هذه النظرية بالتحديد، إذ لم يظهر ذلك في مسرد مراجعه أو في فحوى مشروعه الذي استفاد فيه من منظري الدراسات الثقافية في الغرب من أمثال هوغارت وليتش. وإن كانت الدراسات الثقافية قد تأثرت بشكل أو بآخر بهذه النظرية فإن هذا التأثر لن يكون تطبيقا حديًا للنظرية.

ومن الملحوظ أن الكاتبة في محاولتها ربط دراسات الغذامي الثقافية بنظرية الفوضى كانت تنحو منحى تأويليا لا يلتمس التوصل إلى استقصاء شامل يكشف مرجعية الغذامي بوضوح، ولو أن العبودي اكتفت بدراسة نقاط الالتقاء بين نظرية الفوضى والدراسات الثقافية لكان أجدى.

لقد قدمت العبودي نظرية الفوضى على أنها النظرية الأكثر صحة، فالاتجاه الصحيح كما ترى هو «الاتجاه الذي يقوم على نظرية الفوضى»، ولعل هذه الحماسة التي بدت لدى الباحثة نابعة من ذلك الملمح الديني في طرحها للنظرية، فهي تشير في أكثر من موضع إلى ثبوتية النظرية من منطلق ديني، إذ تسهم هذه النظرية في «تأكيد وجود خالق للكون مرتب له، ما ساهم أكثر في تغيير تصور الكتاب للعالم ونقل ذلك التصور إلى إنتاجهم».

وفي تناولها للنظرية في التحليل النفسي، تشير الباحثة إلى التطور الذي طرأ على التحليل النفسي من خلال علم الفوضى، إذ تتمسك بمبدأ اللاخطية الذي يتيح المجال للإنجاز والإبداع والتفاؤل. ومع أن العبودي تقر بأهمية مبدأ انطلاقة البداية في التحليل النفسي إلا أنها ترفض أهمية مرحلة الطفولة التي اعتنى بها فرويد، هذا مع أن هذه المرحلة لا تعدو أن تكون انطلاقة بداية.

لقد تناولت العبودي من خلال أجزاء قصيرة في كتابها نظرية الفوضى في عدد من المجالات المعرفية، كالفلسفة والتحليل النفسي، لتشير بذلك إلى شمولية النظرية ولتنتهي إلى المسار الذي وصلت له العلوم في العقود الأخيرة إذ تحقق الدمج بين العلوم الإنسانية والعلوم التجريبية، وهو على أي حال توجه ملحوظ منذ مرحلة الحداثة؛ إذ كانت البنيوية تنحو منحى تجريبيا واضحا.

وتنطلق العبودي إلى دراسة تطبيقية من خلال «ألف ليلة وليلة»، إذ تجده من أكثر الكتب صلاحية للتطبيق، وإن كانت قد استطاعت أن تتوصل إلى المفاصل الحكائية التي يمكن من خلالها تطبيق مبادئ النظرية إلا أنها تبدو ساعية إلى إسقاط المصطلحات التي رددتها في الكتاب أكثر من كونها تسعى إلى دراسة الحكاية: «تدخل شهرزاد في فوضى قصة شهريار وشقيقه شاه زمان، حيث تواجه الغموض، فلا تعرف إن كانت ستنجح أو ستفشل في اتقاء الموت. تدخل عن طريق خلق نوع من الترتيب في فوضى حياة شهريار».

عمر الخيام.. سيرة ذاتية

● دمشق – يقدم كتاب عمر الخيام الذي قدمته هنادي زرقا في العدد السادس ضمن سلسلة منشورات الطفل السيرة الذاتية للشاعر الفلكي وعالم الرياضيات الخيام الذي برع في شتى العلوم الإنسانية شانه في ذلك شأن علمائنا الأوائل في التاريخ الإنساني.

وتبين الباحثة في كتابها الذي جاء في ١٢٨ صفحة ان الخيام ولد في نيسابور الواقعة في إيران عام ١٠٥١ ميلادية أمضى قسما من طفولته في منطقة بلخ شمالي افغانستان وتتلمذ على يد كبار المدرسين في منطقة خراسان وعاش في عصر كثرت فيه الاضطرابات والتغيرات السياسية إذ عاصر ثلاثة من ملوك السلاجقة ارطغرول ١٠٢٩ و ملك شاه وسنجر وبرز كأحد ابرز شعراء العصر السلجوقي ووقعت في عهده الحروب الصليبية.

وقالت زرقا عرف عن الخيام كثرة اطلاعه وتنوع معارفه وشبه بالفيلسوف ابن سينا إذ أحاط بمعظم العلوم التي عرفت في عهده فقد كان عالما بالفلك والفقه خبيرا بعلوم القرآن إلى جانب درايته الواسعة بالفلسفة وعلوم اللغة والشعر والكيمياء والعقائد الدينية والرياضيات وكان في تلك العلوم صاحب الرأي الصائب والفكر المستقل الحر لكنه مال بطبعه إلى العلم المجرد لذلك تخصص في الفلك والرياضيات وقد عده بعض الباحثين من العرافين المتنبئين بالغيب.

وأشارت الكاتبة إلى أن الخيام اطلع على الفلسفة اليونانية وعرف مذاهب الفلاسفة الأقدمين وتأثر بهم إلى حد كبير كما اطلع على الآراء والمعتقدات المجوسية والبوذية التي كانت متداولة بين المفكرين آنذاك ونظم رباعياته بما تحويه من حكمة وفلسفة في أزمنة وأمكنة مختلفة فكلٍ رباعية جاءت صورة لنفسيته فمنها جاء زاخرا بالإيمان وأخرى اعتراها الشك والتشاؤم كما انه لم يجمعها في كتاب أثناء حياته بل كان محبوه وأصحابه هم من قاموا بذلك.

وانقسمت الترجمات العربية لرباعيات الخيام إلى قسمين رئيسيين الأول ترجمات في لغة عربية فصيحة والقسم الثاني ترجمات عامية على ان من هذه الترجمات ما كان ترجمة مباشرة عن الفارسية ومنها ما كان ترجمة عبر لغة وسيطة كالإنكليزية التي قام بها فيتزجيرالد.

كما بينت الباحثة دور الخيام في تقدم الفلك والرياضيات حيث شهد العلماء بمهارته وغزارة علمه وذكائه الخارق في الرياضيات والفلك فقد دفعه اهتمامه بدراسة الفلك والرياضيات إلى إنشاء برج خاص به على هيئة مرصد مارس فيه دراساته في الفلك والرياضيات حتى غدا فلكي الأمير ملك شاه السلجوقي منذ عام ١٠٧٥ حتى وفاته عام ١٠٩٢ واحتوى هذا المرصد على اسطرلاب من صنع بغداد وجداول نجوم بطليموس وكرة سماوية من البرونز اللامع ومصباح للنجوم.

وأوضحت زرقا أن البيروني في كتابه التفهيم في صناعة التنجيم بين أن الخيام معروف بحنكته وسعة أفقه فقد كان يرى في الفلك علما رياضيا مبنيا على الرصد والحساب فدرس هذه العلوم وبرع فيها وفاق معاصريه من الفلكيين والرياضيين.

وأوردت الباحثة في الصفحات الأخيرة من كتابها مجموعة من رباعيات الخيام منها.. سمعت صوت هاتفا في السحر.. نادى من الحان غفاة البشر.. هبوا أملؤوا كأس الطلى.. قبل أن تفعم كأس العمر كف القدر.